

«٢٣٨ - ومما يفسرُ من الشعر تفسيرين كالمضادين ، قولُ الشاعر :

أيام أبدت لنا جيداً وسالفةً      فقلتُ لها أنى لها جيدُ ابنِ أجيادٍ

يروى روايتين مختلفتين ، ويُفسرُ تفسيرين مختلفين .

فكان يعقوب بن السكيت يرويه : « أنى لها جيدُ ابنِ أجيادٍ » بإضافة الجيد إلى ابن ، أي لها عنقُ هذا الظبي الذي يسكن هذا الجبل .

ورواه غير ابن السكيت : « أنى لها جيدُ ابنِ أجيادٍ » برفع الابن ، وقال : معناه : أنى لها هذه العنق الجميلة الحسنة المتناهية في كمالها !

قال : وليس أجياد اسم جبل ، إنما هي الأعناق ، نسب الجيد إليها للمبالغة ، كما نقول : هذا درهم ابن دراهم . . . » .

والملاحظ على الخلاف في المعنى هنا أنه ناشئ عن اختلاف في رواية البيت ، والاشتراك أو التعدد الدلالي لا يكون إلا في اللفظ الواحد ، كما هو ، فإذا تغير فليس بمشترك .

وذكر ابن الأنباري أبيات الشعر وآيات القرآن ، هو الذي يشير إلى أنه قصد بقوله « حرف » و« لفظ » ، ذلك المعنى الأوسع من الكلمة الواحدة ، وكأننا به قد أراد اللفظ الذي أراده ابن مالك في ألفيته حين قال :

كلامنا لفظٌ مفيدٌ كاستقم      واسم وفعل ثم حرف الكلم

فاللفظ المفيد هو الجملة ، أو هو بهذا المعنى الواسع كل ما ينطقه أو يلفظه اللسان مفرداً كان أو مركباً .

واستعماله « لفظ » و« حرف » بالتبادل في موضع واحد كما في التعريف السابق يدل على أن « حرف » في استعمال ابن الأنباري ، له هذا المعنى الواسع الذي لكلمة « لفظ » في اللغة العربية والذي ضاق في استعمالنا الحديث حتى قصد به المفرد منه فقط ، وبذلك قد يحدث نوع من الخلل في فهمنا النصوص القديمة إذا جرينا في فهمها على معهود استعمالنا العصري لكلمات اللغة وقد اعترأها ما اعترأها من تغيرات دلالية ناتجة عن كثرة الاستعمال وتقادم العهد ، فخصص منها ما خصص ، وعمم منها ما عمم ، وصنفت لبحث كل هذا دراسات طويلة في التطور اللغوي .

كل هذه الملاحظات يلعب دوراً في تحديد دلالة التعريف ونطاقه ؛ وما يدخل فيه وما يخرج منه .